

أن تكون غاية المنشئ بدلا من مخاطبة العواطف . وقال أيضاً إن البلاغة ، كما هي الآن في لغتنا العربية ، تخاطب العواطف دون العقل ، وهذا ضرر عظيم ، فإننا حين ننصح أحد الشبان بأن يسلك السلوك الحسن في الدنيا ، ويتخذ أسلوباً ناجحاً في الحياة نشير عليه بأن يجعل العقل والمنطق - دون العاطفة والانفعال - هدفاً ووسيلة في كل ما يعمل . ولكن البلاغة العربية في حالها الحاضر هي بلاغة العاطفة والانفعال فقط .

ويستطرد إلى القول بأننا جعلنا المنطق أساس البلاغة فإننا عندئذ نجعل قواعد المنطق ونظريات إقليدس مما يدرس للتفكير الحسن ، وهو الغاية الأولى للبلاغة ، ونبين قيمة الأرقام في التفكير الحسن ، ثم تأتي بعد ذلك الفنون ، وهي عاطفية إنسانية للترفيه الذهني .. ولكن يجب أن نذكر أن التفكير الدقيق أخطر وأثمن من الترفيه الذهني بالفنون ! .

وقد يكون الدافع إلى هذا الرأي الرغبة في إنهاء الأمة في نواحيها الفكرية والعقلية والعلمية ، إذ أن صاحبه يجهر بالدعوة إلى تنحية البلاغة والأدب والفن جانباً ، والاتجاه نحو العلم والفلسفة والمنطق ، وتجريد الأدب من غايته في التعبير عن العواطف الإنسانية .

والذين يخدمون العلم والتفكير هم العلماء والمفكرون . ولاستطيع أن ندعي أن الأدباء وحدهم هم الذين يمثلون الطبقة المفكرة في الأمة ، لأنهم في الحقيقة إنما يمثلون طبقة واحدة من طبقات أهل الفنون ، وليس من الممكن تحقيق تلك الغاية التي دعا إليها الكاتب إلا إذا اجتمعت الموهبتان في إنسان فكان فنانياً وكان مفكراً ، وهو حيثئذ مطالب بما يوفى بحق كل موهبة من الموهبتين .

أما العواطف فلا مناص من الاعتراف بها ، والاعتراف بمدى ما تستطيع أن تؤثر في الإنسان ، وتوجه من تصرفاته في هذه الحياة . وهي في هذا التأثير أبعد أثراً وأشد خطراً في نفوس الأفراد والجماعات من آثار المنطق والتفكير في حياتهم .

وكذلك يجب ألا ننسى الفوارق الطبيعية بين استعدادات الشعوب ، وبين حظ الأفراد في الجماعة الواحدة ، من حيث يقظة الجانب الفكري ، أو الاستعداد لمزاولة فنون الفنون الإنسانية . ولاشك أن الدعوة إلى تنمية الوعي وتنشيط الفكر واجبة ، لأثرها في حياة الأمم وساعاتها . ولكن ينبغي ألا يكون ذلك على حساب الفنون التي عشقتها